كمالات الإمام زين العابدين (ع) الإنسانية



الإمام زين العابدين (عليه السلام) هو الإمام الّـَذي ملأ الواقع الإسلاميّ في مرحلته علماً وروحانيّةً ومنهجاً وحركةً في المجالات الّـتي كان الإسلام يواجهها ويتحرّـَك فيها في ذلك العهد، هو مؤسس مدرسة الإسلام الفكرية وباني صرح الإسلام العلمي الشامخ. كان الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) الإنسان الّـذي عاش ﷲ، ومع اﷲ، وفي سبيل اﷲ، وفي خدمة دين اﷲ، وفي النّـصح لعباد اﷲ، وبذلك كانت إمامته إمامة حقّ ٍ وصدقٍ وعدل.

في كلمةٍ له: «إنّـَ المعرفة بكمال دين المسلم»، فهو يعتبر الكلام مسؤوليّـَة، وأنّـَ اﷲ أعطاه نعمة اللّـسان من أجل أن يحرّـكه في حاجاته وقضاياه وما يتّـصل بحياته، سواء كان ذلك مرتبطاً بحياته الشّـَخصيّـَة في مسؤوليّـَاته عن نفسه، أو بحياته العامّـَة في مسؤوليّـَاته عن مجتمعه. أمّـا الكلام الّـَذي لا يتّـَصل بمسؤوليّـَته الخاصّـَة ولا العامّـَة، فإنّـه يشعر بأنّـَ إطلاقه في هذا المجال لن يؤدّي به إلى خير، ولن يحقّـِق له أيّـة نتيجة ترضي اﷲ، بل قد يوقعه في مشاكل في دينه ودنياه، ولذلك، فإنّ المؤمن يقف من أجل أن ينظّـِم كلماته لتكون الكلمات الّـتي تتّـصل بمسؤوليّـته، أمّـا ما لا يتّـصل بهذا الجانب فهو لغو، والمؤمن يوفّـِر على نفسه وعلى غيره مثل هذا اللّـغو الّـذي يعدّ من

فضول الكلام الـّذي لا فائدة منه.

«وقلّة مرائه»، والمراء هو الجدل في مقام الخصومة، فليس من شأنه أن يخاصم النـّاس في الأمور الصّغيرة أو التـّافهة، أو التي تبعث على النـّزاع والضّغينة، فكلّ ما عنده أن يجادل بالحقّ، وبالـّتي هي أحسن، وليثبت حقّاً ويدفع باطلاً. فالمراء ليس من خلق المؤمن، لأنّ للجدال نتائج سلبيّة على مستوى حياته وحياة الناس، وربما يقود الإنسان إلى كثيرٍ مما يغضب ربّه ويدمّر حياته. ولذلك تراه قليل المراء، لأنّه لا يماري ولا يجادل إلا عندما تكون هناك ضرورات للإسلام وللحياة ولنفسه، فهو منفتحٌ على النـّاس، ولا يدخل في جدالٍ إلا إذا كان هناك ما يفرض ذلك كمسؤوليّة.

«وحلمه»، فمن كمال دين الإنسان المؤمن، أن يكون واسع الصّدر، بحيث لا يثور عندما يُثار، ولا يتعقّد عندما تطلق الكلمة السلبيّة في مواجهته، ولا يجابه الإساءة بالإساءة، بل يحاول أن يعطي للموقف حلمه، حتى يستطيع أن يتفادى المشكلة من خلال سعة الصّدر التي تواجه الإنسان المسيء، بما يجعله يشعر بسقوطه النـّفسيّ من خلال إساءته. وقد حدّثنا الله سبحانه وتعالى عن هذه الصّفة بقوله: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف/ 199). وقال عزّ وجلّ: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً) (الفرقان/ 63).

إنّ الحلم يمثّل الأفق الرّحب الـّذي يعيشه الإنسان أمام سلبيّات الآخرين، ليجعلهم يقفون وجهاً لوجهٍ أمام سلبيّاتهم، ليتراجعوا من خلال ذلك. والإمام (عليه السلام) يركّز هذه المسألة على أساس واقعيّ يحتاط فيه لبعض الحالات الـّتي ربما يستغلّها المجرمون أو المسيئون،ـ ليتمادوا في إجرامهم أو إساءاتهم عندما يسكت الآخرون عنهم، فيقول الإمام (عليه السلام) فيما روي عنه في (رسالة الحقوق): «وحقّ من ساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه يضرّه انتصرت».

فعندما ترى أنّ العفو عن المسيء، وأنّ موقف الحلم، يجعله ممن تأخذه العزّة بالإثم، ويتصوّر أنّ الـّذين يعفون ضعفاء أمامه، وأنّه يملك القوّة الـّتي تتيح له التـّمادي في الإساءة إلى الآخرين، مما يعود عليه سلباً في نهاية المطاف، فإنّ عليك أن تأخذ بحقّك في ذلك.